الفصل الخامس

الفصائل اللغوية

لم يستطع العلماء حصر اللغات الانسانية فى العالم حتى الآن — احصاء دقيقا — لأن هناك لغات بدائية مستعملة لم تدرس أو لم تعرف بعد مثل لغات الهنود الحمر فى أمريكا ، وبعض شعوب افريقيا ، ولغة الاستراليين الأصليين .

وهناك احصاء تقريبى يقدر عدد اللغات المتكلمة فى العالم ، والتى عرفت ، بحوالى ٢٥٠٠ لغة ، وبعضهم يقول : هى ٣٥٠٠ لغة تقريبا .

وهناك تصنيف للفصائل اللغوية فى نظرية (شليجل) ، ونظرية (ماكس مولر) .

١ — تقوم نظرية (شليجل) على تقسيم اللغات الى :

(أ) لغات متصرفة : اى تتغير مبانيها ، وتوجد فيها أدوات ربط بين أجزاء الجملة ، مثالها فى العربية : (علم ويعلم وعالم ومعلوم وعلامة ...) ومثل : (ذهب سعيد ومحمد الى المدرسة بالدراجة).

(ب) ولغات تركيبية أو الصاقية : اى تتغير المعانى فيها بطريق الالصاق : فى الصدر أو العجز ، كما فى اللغة اليابانية والتركية .

(جـ) ولغات عازلة : اى لا تقبل التصرف ، لأن لكل كلمة من كلماتها صورة واحدة ومعنى ثابت لا يتغير . وليس فيها أدوات ربط ، ولاضوابط وذلك مثل : الصينية ، ولغات الشعوب البدائية .

وكثير من العلماء يرفض هذه النظرية ، لأن كل اللغات التى عرفت تستعمل الطرق الثلاث التى ذكرها (شليجل) ، ولكن بنسب مختلفة فى كل طريق .

٣ ــ اما نظرية (ماكس مولر) او الجماعات اللغوية .

فتقوم على الأسر اللغوية ، للتشابه القوى الذى يقوم بين لغات الأسرة الواحدة ، وعلى ذلك قسم الأسر اللغوية الى ثلاث مجموعات هى :

(أ) مجموعة اللغات الهندية ــ الأوروبية ، او (الآرية) .

(ب) ومجموعة اللغات السامية ــ الحامية .

(ج) ومجموعة اللغات الطورانية .

أولا ــ الجماعة الهندواوروبية ، او الآرية :

واشهر اللغات (الآرية) : الاغريقية ، واللاتينية ، والايطالية ، والفرنسية ، والأسبانية والبرتغالية ، والرومانية ، والأرلندية ، والألمانية ، والهولندية ، والروسية ، والفارسية ، والسنسكريتية ، والأرمنية ، والألبانية ، والحيثية والطوخارية ... وبعض هذه اللغات راق وبعضها جامد ، وبعضها اخذ خصائص جديدة .

وحظيت هذه اللغات بالدراسة والعناية ، لأن كثرة من علماء اللغة الغربيين ينتمون اليها ، ولأن بعضها لها شأن وحضارة انسانية قديمة وحديثة .

ويتكلم بها الآن جميع شعوب أوروبا وأمريكا واستراليا وجنوب أفريقيا . كما يتكلم بها قسم كبير من سكان آسيا ، كالهنود والفرس والأفغانيين والاكراد والأرمن وغيرهم ... (١)

ثانيا ــ الجماعة الحامية ــ السامية :

بعض علماء اللغات يعد المجموعة اللغوية السامية والحامية مجموعتين ، ولكن (ماكس مولر) وبعض اللغويين اعتبرها مجموعة واحدة ، للتماسك بين أجزاء المنطقة التى تضم المجموعتين ، ولتجانس الناطقين فيها ، وتشابههما فى أساليب الحياة ، ونوع الحضارة ، والنظم الاجتماعية .

---

(١) علم اللغة . د . وافى ص ١٨٣

ويتكلم لغات هاتين المجموعتين حوالى ١٥٠ مليونا من البشر . واشهر لغات الحامية : المصرية القديمة ، والقبطية ، والبربرية ، والكوشية . واشهر لغات السامية ، الاكدية ، والآرامية ، والكنعانية ، والعبرية ، واليمنية ، والحبشية ، والعربية .

ثالثا ــ الجماعة الطورانية :

وتضم هذه الجماعة اشتاتا من اللغات التى لا رابط بينها ولا مشابهة ، وليس بينها اللغات التى ذكرت فى الجماعتين السابقتين ، وانما جاءت التسمية من قبيل الاصطلاح وتسهيل الدراسة .

وتضم هذه الجماعة من اللغات : الصينية ، واليابانية ، والتركية ، والمغولية ... الخ .

وقوبل تصنيف (ماكس مولر) هذا بمعارضة من علماء اللغة :

لانه جعل الحامية والسامية مجموعة واحدة اولا ، ولانه جمع فى الثالثة اشتاتا لا رابط بينها ، فضلا عن اهماله الكثير من لغات شعوب اخرى ، لم تدخل فى الجماعة الثالثة .

ولذا أوصل المحدثون من الباحثين المجموعات اللغوية الى اثنتين وعشرين مجموعة ، نوجزها فيما يلى :

١ ــ الهند واوروبية ٢ ــ السامية ٣ ــ الحامية ٤ ــ اليابانية ٥ ــ الكورية ٦ ــ الاينو ٧ ــ الصينية التبتية ٨ ــ الاسترالية الآسيوية ٩ ــ الدرافيدية ١٠ ، ١١ ــ القوقازية الشمالية والوسطى ١٢ ــ الآسيوية القديمة (ومنها السومرية) ١٣ ــ التركية والمغولية والمنشورية ١٤ ــ الفينية ١٥ ــ الباسك ١٦ ــ الهيبوبورية ١٧ ــ الملايوية البولينيزية ١٨ ــ الاسترالية الأصلية ١٩ ــ الأمريكية الأصلية ٢٠ ــ السودانية والغانية ٢١ ــ البنطويه ٢٢ ــ البوشيمان والهوتنتوت والنيجريين (١) .

* * *

والمشهور لدى علماء اللغة تصنيف اللغات البشرية ، فى ثلاث مجموعات هى : الآرية ، والحامية ، والسامية . اما الطورانية ، فجعلها بعض العلماء لما يجد ويدرس من لغات اخرى غير لغات هذه المجموعات .

---

(١) المصدر السابق .

أولا ــ الآريــون :

ينسبون الى يافث بن نوح عليه السلام . وكانوا يسكنون أرض بابل أو أرمينيا ، ثم هاجروا الى بلاد الهند ، وقهروا سكانها الأصليين ، وجعلوا لأنفسهم علامة مميزة الى السيادة والشرف والنبالة ، ووجدوا ذلك فى لفظ (آريا) وهو سنسكريتى قديم ، يدل على ذلك المعنى .

ولما كثروا ارتحل فريق منهم الى الغرب ، وتوطنوا بخارى وفــارس وافغانستان ، وارتحل آخرون بعدئذ الى الشمال وتوطنوا أوروبا ولــذا يقال لها : الجماعة الهندواوروبية (٢) .

اللغــات الآريـــة :

حظيت مجموعة اللغــات الآرية ــ كما قلنا ــ بالبحث والتنقيب ، والمقارنة والتمحيص ، لانشغال علماء الغرب بها ، ووضحوا الســمات والصلات التى تربط بين أجزائها ونأمل ان يحذو علماؤنا حذوهم ، فى دراسة الساميات ، لتبيان الوشائج والأصول التى تربط بين لغاتها .

وأمام الجهــد الدائب ، والامكانات المتــاحة ، والبحث المضنى ، والاكتشافات المتوالية ، وتواكب الأبحاث العلمية .. ظهرت ثمرة الجهود المبذولة ، واتضحت معالم المجموعة الآرية ، وزايلها الخفاء والابهام كثيرا ، واتضحت معالم اللغات التى سبقت فيما قبل الميلاد ، فكانت لغة ادب وحضارة وهناك لغات لم تحظ بنصيب من ذلك ، فقضت نحبها لسبب ما فتلاشت أصولها ومعالمها ، وبقيت شواهدها .

واتضحت الرؤية الزمنية أمام العلماء لكثير من لغات هذه المجمــوعة بدءا من قبل الميلاد حتى العصر الحديث .

ونوجز هنا أهم أصول هذه اللغات الآرية ، وما تفرع منها :

(أ) الايرانية ، والهندية : وقد عثر على نصوص للايرانية (وهى الفارسية القديمة) ترجع الى القرن الخامس ق . م . ومنها : (الأفستى) لغة الأسفار المقدسة من القرن الأول الميلادى . ثم الايرانية الوسيطة : (الأوستية والفهلوية) ، منذ القرن الثالث

---

(١) فقه اللغة العربية . د . نجا ، ص ٢٩

الميلادى حتى الآن ، والتى مازالت تعيش فى فارس وافغانستان والقوقاز ، والبامير ...

أما الهندية : فأقدم ما عثر عليها منها : (السنسكريتية) ، لغة الأدب والملاحم ، فى القرن الثالث ق . م ومنها ، (الفيدية التى كتبت بها المقدسات ، فى القرن الأول ق . م . ومنها الهندية الوسيطة ، التى هى أم اللغات الهندية المعاصرة ، مثل : البالية ، والبراكريتية فقد انحدر منهما : الهندوستانية ، والبنغالية ، والمراتية ، ولغات الهند الحديثة .

(ب) الحيثية : واكتشفت نصوصها شرقى أنقرة : وقد حفظت نصوصا بنقوش مسمارية ، ترجع الى الفى سنة ق . م

(ج) الطوخارية : وتمثلها نصوص أدبية ، ترجع الى ما قبل القرن العاشر الميلادى .

(د) الالبانية : اكتشفت نصوصها فى القرن الخامس عشر ، لكن فى شكل مضطرب لكثرة ما استعارت وتأثرت من جيرانها .

(هـ) الأرمنية : اكتشفت نصوص منها فى القرن الخامس ، محتفظة برونقها .

(و) البلطيقية والسلافية : دلت نقوشها المدونة فى القرن السادس ، على تفرع الأولى الى البروسية والليتوانية والليتولية ، وتفرعت الثانية الى المجموعة الصربية والبلغارية الحديثة جنوبا . والى الروسية والتشيكية والبولونية شرقا .

(ز) الجرمانية : ويقسمها العلماء الى ثلاثة اقسام :

١ ــ الغوطية التى ترجم اليها الكتاب المقدس فى القرن الرابع الميلادى .

٢ ــ والشمالية ، التى تفرعت الى : الاسلندى ، والنرويجى القديم ، والدانمركى ومنها اشتقت اللغات الاسكندنافية الحديثة .

٣ ــ والجرمانية الغربية : وتتمثل فى : الانجلوسكسونية ، وانحدر منها : الألمانية والانجليزية قديمها وحديثها .

(ح) الايطالية والكلتية : وتبين أن الايطالية مثلتها اللاتينية ، لغة

الأدب فى القرن الثانى ق . م . وارتبطت بالاغريقية بروابط تاريخية ، وتأثرت فكانت مجالا خصبا للمقارنات . وتفرع عن اللاتينية : الرومانية ، والايطالية ، والفرنسية ، والبرتغالية ، والأسبانية .

أما الكلتية : فتأكدت أصول نصوصها فى القرن الثامن الميلادى. وتمثل : الغالية ، والبريتونية (لغة أهل الجزيرة البريطانية الكبرى) ، والغائيلية ، (لغة الايرلنديين) .

(ط) الاغريقية : ومنها قديمة دونت بها أشعار (هوميروس) ، وتمثلها فى العصر الكلاسى أربع لهجات ، هى : الأيونية ، والأركادية ، والقبرصية والاغريقية الغربية .

أما الاغريقية الوسطى ، فهى اللغة المشتركة للعالم البيزنطى. حتى القرن السادس عشر الميلادى ، وعنها جاءت اللهجات الاغريقية الحديثة (١)

ثانيا ــ المجموعة الحامية :

تمثل هذه المجموعة : الحبشية القديمة ، والمصرية القبطية القديمة ولغات النوبيين الكوشتيه بالسودان ، والبربرية ببلاد المغرب فى شمال افريقيا .

وتنسب هذه الجماعة الى حام بن نوح عليه السلام ، والكوشيون أبناء حام من بعده وتعتبر هذه المجموعة من اللغات المتأخرة ، لانها ليست لغات حضارة فضلا عن عجزها عن الوفاء بمطالب متطلبات الحياة الراقية . (٢)

ورويت الحاميات والساميات فى الالف الخامسة قبل الميلاد موثقتين .

ومكانهما : هو المنطقة العربية الافريقية من الشمال الشرقى .

ووجد بعض المستشرقين علائق وتشابها بين الساميات والحاميات وتبادل التأثير والتأثر للتجاور ، والمجال الجغرافى الواحد .. فعدوهما مجموعة واحدة . ولكن فصلهما افضل ، لأن التشابه ليس كبيرا ، والساميات ذوات حضارة وثقافة ، كما أن أمثلة التقارب المضروبة ليست كثيرة : فيذكر

---

(١) علم اللغة . د . وافى ص ١٨٠ وما بعدها ، والوجيز للأنطاكى ــ
(٢) فقه اللغة العربية . د . نجا ، ص ٣٠.

بعض العلماء (١) : أن جذر السامية والحامية يتميز بالوضوح للفكرة المعبر عنها وبالتحديد ، ويضرب المثل بأن الجذر المصرى والسامى (م و ت ــ MWT) والبربرى (م م ت MMT) ، يعنى فكرة الموت .

وفى السامية : (ح ش ب ــ HSB) ، وفى المصرية : (ح س ب ــ HSB) وفى الكوشيتيه (هـ س ب ــ HSB) بمعنى : يحسب أو يعد . وفى السامية : (ل ب ب ــ LBB) ، وفى المصرية بتليين اللام (ل ى ب ــ LYB) وفى البربرية : (أول ــ AUL) وفى الكوشيتيه (ل ب ــ LB) ، بمعنى قلب .

ولكن ليس بين أيدينا حتى الآن كتابات تسعف بقدر أكبر فى التقارب والتماذج المدعى بينهما .. كما دفع ذلك بشدة الدكتور جواد على ، كتابه (تاريخ العرب) . وبعضهم يرى الرأى القائل بوجود علاقة عضوية بين الشعوب الحامية والسامية ، وبين لغاتها الكثيرة ، ويراه رأيا يقوم على حقائق التاريخ والجغرافيا ، وعلم اللغة المقارن (٢) ، ولكل وجهة .

ثالثا ــ المجموعة السامية :

تنسب هذه الجماعة الى سام بن نوح عليه السلام ، وسام فى العبرية (SEM) كما فى الاصحاح العاشر من سفر التكوين . والذى ينص على أن سام بن نوح ، هو أب لكل من الآشوريين والآراميين والعرب والكنعانيين .. الخ .

ويرى (ولفنسون) فى « تاريخ اللغات السامية » أن هذه التسمية (السامية) : « أصلح وأوفق ما اهتدى اليه العلماء لتسمية كتلة الأمم التى تقطن بلاد آسيا الدنيا ، والتى كونت وحدة دموية ولغوية مستقلة » .

والذى أطلق مصطلح (السامية) هو العالم الألمانى (شلوتزر) وزميله (ايكهورن) . وشاع استعماله فى نهاية القرن الثامن عشر ١٨٧١ ، وظفرت الساميات ببعض العناية الدراسية ، نظرا لأن لبعضها حضارات راسخة ،

---

(١) فى التطور اللغوى ص ٣١

(٢) المصدر السابق ص ٣٤

ولتوفر علماء الغرب على دراستها والعناية بها . وان كنا نطمع فى المزيد ، لتبيان مزايا العربية الخالدة فى ضوء شقائقها .

وسكنت هذه الجماعة القسم الغربى من آسيا ، وبعض النواحى المتاخمة له من شرق افريقيا . اى فى الجزيرة العربية ، والشام ، والعراق ، وسيناء وبلاد الحبشة .

موطن الساميـــة :

بعض العلماء يرى ان الموطن الاصلى للساميين هو ارض ارمينية ، بالقرب من حدود كردستان ويراها (نولدكه) مهدا للآريين ايضا .

ويذهب الأستاذ جويدى الى ان موطنهم كان فى جنوب العراق ، لوجود الفاظ مشتركة تدل على العمران والحيوان والنبات ، ويعارضه المستشرق (نولدكه) بأن بضعة كلمات غير كافية كدليل ، فضلا عن الاختلاف الكبير البادى فى اساسيات تسمية الأشياء الحيوية للحياة .

وبعضهم يزعم ان اليمن السعيد ، او القسم الجنوبى الغربى من جزيرة العرب ، او الحبشة ، او كل الجزيرة العربية ـــ من غير تحديد لمنطقة ـــ هو الموطن الأول لهم . ولعل هذا اقربها الى الصحة (١) .

مميزات الساميات :

تمتاز الساميات عموما بما يلى :

١ ـــ اختصاصها بحروف لا توجد فى غيرها ، مثل : (ض ـــ ط ـــ ظ ـــ ح ـــ خ) .

٢ ـــ ليس فيها اسماء مركبة تركيبا مزجيا ، وهو كثير فى المجموعـــة الآرية .

٣ ـــ الضمائر فيها متصلة او منفصلة ، وفى الآرية منفصلة فقط .

٤ ـــ تعتمد السامية فى تركيب الكلمات على الحركات ، والآرية تعتمد على الحروف الصوتية .

---

(١) تاريخ اللغات السامية ، ولفنسون ، ولغات العالم ، لميه وكومين ص ٣٢ ، ٣٣ .

٥ ــ يتم الاشتقاق فيها بتغير الحركة أو الزيادة أو النقص فى اى موطن. وتعتمد الآرية على الزيادة فى الأول غالبا ، وفى الآخر نادرا .

٦ ــ يتميز المؤنث بالتاء الفارقة فى السامية ، وفى الآرية أدوات للتمييز بين المذكر والمؤنث (١) .

اللغات السامية :

اللغات السامية تجمع بينها وجوه شبه عديدة وكثيرة ، توحى بأنهاتفرقتعن أصل واحد ، أو انها لهجات تفرعت من لغة واحدة . ومنها ما مات واندثر ، كالأكدية والسبئية ومنها مالا يزال باقيا الى اليوم كالسريانية والعبرية والعربية . ولا نعلم عن اوليـة لغات السامية شيئا ، لأن التاريخ صمت عن ذلك .

ومن اهم لغات السامية وفروعها :

(أ) الأكدية او البابلية :

البابلية والأكدية تسميتان للغة واحدة ، نسبة الى منطقة (أكد) فى جنوب العراق ، او الى مدينة (بابل) عاصمة المنطقة .

واصحاب هذه اللغة قبائل سامية هاجرت من الجزيرة العربية ، أو من ناحية سورية حوالى ٣٥٠٠ سنة قبل الميلاد ، الى العراق . وسكن فريق منهم جنوبى العراق وأسس أشهر ملوكهم (سركون الأول) عاصمته باب (ال) (بابل) اى باب الله حوالى ٢٨٠٠ ق . م . وغدت أشهر مدينة فى العالم القديم . واتسع نفوذ هذه الدولة حتى شمل بلاد الشام وفلسطين .

وكان الشعب السومرى او الشومرى ، يسكن هذه المنطقة من قبل هجرة البابليين وله حضارة زاهرة فى الحساب والفلك والتشريع لا تقل عن حضارة قدماء المصريين المعاصرين له .

وبعد هجرة البابليين سكن الشومريون منطقة شومر ، جنوب (بابل) . وتأثر البابليون بالشومريين كثيرا ، وعرفوا عنهم الحضـارة والتشريع ، وكتبوا بخطهم المسمـارى وتأثرت لغتهم السامية كثيرا باللسان الشومرى .

---

(١) فقه اللغة العربية . د . نجا ، ص ٣٢ ، ٣٣ .

الذى ينسب الى الأسرة الآسيوية القديمة ، وبنى الأكديون حضارتهم على أساس الحضارة الشومرية ، التى حاولت استرداد عزها وملكها فيما استطاعت .

وبعد أن وطد الأكديون أركان ملكهم ، بدأوا يكتبون لغتهم السامية بالخط الشومرى المسمارى ، فرمزت العلامة للفكرة أو المقطع الصوتى ، وساد اللسان الأكدى حوالى ٣٠٠٠ سنة .

ولتأثر الخط الأكدى بالشومرى ، تبين أن أبجديته خلت من أحرف التفخيم : (ط ، ظ ، ص) وخلت أيضا من حروف الحلق : (ء — هـ — ع — ح — غ — خ) لأن الشومرى كان أضيق من أن يتسع للأكدى . وظل الأكدى محتفظا ببعض مظاهر الاعراب ، فى الضم والكسر .

وأبرز آثار اللغة الأكدية فى الساميات الأخرى هو أسماء أشهر السنة :

Nissanu	نيسانو	نيسان	Iyaru.	أيرو	أيار
Simanu	سيمانو	حزيران	Duzu	دوزو	تموزا
Abu	آبـــو	آب	Ululu	أولولو	أيلول
Tisritu	تشريتو	تشرين أول	Arahsamna	ارح سمنا	تشرين الثانى
Kislima	كيسليمو	كانون الأول	Tebtu	طبتو	كانون الثانى
Sabatu	شباطو	شباط	Addaru	ادارو	آذار (١)

ويشترك الأشوريون مع البابليين ، فى التأثير والتأثر باللغة الشومرية اذ أن الأشوريين سكنوا أعلى العراق ، بينما سكن البابليون جنوبها كما سبق .

(ب) الأشورية :

الأشوريون قبائل سامية من اخوة البابليين ، هاجرت من جزيرة العرب حوالى سنة ٢٥٠٠ ق . م . وخضعت لبابل دينيا وفكريا أول الأمر ، وسكنوا القسم الشمالى من بلاد العراق ، فى الحوض الاعلى لنهر دجلة ، وأسسوا

---

(١) تاريخ اللغات السامية ، ولفنسون ص ٣٤ ، وفقه اللغة العربية د . نجا ، ص ٣٤

مملكتهم هناك وجعلوا عاصمتها (آشور) بين نهرى الزاب الصغير والعراق سنة ١٣٠٠ ق . م وجرت حروب بينهم وبين البابليين . فهزموهم سنة ٨٠٠ ق . م . واستولوا على بابل ، واتسع ملكهم فشمل الشام . وجاء ملكهم (سركون الأشورى) وجعل عاصمة ملكه نينوى . ودامت الحروب بينهما قرابة الف سنة . وانقض عليهم ملك بابلى من اسرة كلدانية ، فأزال دولتهم وقهرهم .

وكان للأشوريين لغة ، الا ان اللغة الشومرية طغت عليها ، فاستعملوها فى الأدب والتشريع والحضارة ، ولذلك يطلق عليهم بعض اللغويين : (البابليين ــ الأشوريين) (١) ، جامعين تحت هذا الاسم ، كل القبائل السامية التى سكنت العراق ، اثر الموجة السامية الاولى ، الى جنوب العراق ، أو الى شماله

(ج) الآراميـــة :

الآراميون قبائل سامية هاجرت الى العراق حوالى سنة ١٥٠٠ ق . م والذين استقروا فى الجزء الاعلى من العراق ــ فى الشمال ــ عرفوا بالسريانيين ، والذين استقروا فى الجزء الأسفل عرفوا بالكلدانيين . وكانت الهجرة الآرامية تسللا بطيئا ، للمقاومة العنيفة التى لاقوها من الأشوريين والكلدانيين ، وبنى اسرائيل ، ولكنهم انتصروا فى النهاية ، واصبحت لغتهم الادب والفكر لمساحة شاسعة من المنطقة لعدة قرون .

يقول اسرائيل ولفنسون : « بقيت لغة الحضارة ، هى اللغة الآرامية التى كانت فى تلك العصور لغة العمران عند أمم الشرق الأدنى » .

وعد بعض العلماء التدمرية والنبطية من اللهجات الآرامية .

واصبح لكل منهما لغة مستقلة ، هى السريانية ، والكلدانية . وتأثرت لغة السريان بالبابلية ، والأشورية ، والعبرية واليونانية ، فأصبحت خليطا من هذه اللغات .

---

(١) المصدر السابق .

وكان السريانيون متفوقين فى النواحى العلمية ، والفلسفية ، والأدبية والدينية فأنشأوا المدارس فى حران ، والرها ونصيبين . وعليهم اعتمد العباسيون فى نهضتهم العلمية ، فترجموا كتبهم (١) .

والسريانية اسم أطلقه الاغريق على الآراميين . ولاتزال السريانية حية الى اليوم على السنة عدد من سكان سوريا ، لاسيما قرية (معلولة) القريبة من دمشق وقد سمعته أنا من بعض سكان قرى لبنان فى البقاع .

وتأثرت لغة الكلدانيين — فى الجنوب — بالبابلية ، والأشورية والعبرية وقامت نهضة علمية فى مملكتهم ، لتثبيت دعائم ملكهم ، فاستخدمت لغتهم فى التدوين العلمى ، وتسجيل الشرائع ، وكتابة الطلاسم .

ولثبات اللغة ، وقوة الجانب العلمى ، لم يستطع (يختنصر) ابان غزوه للكلدان ، على زحزحة هذه اللغة عن مكانتها فبقيت حضارتها مزدهرة ابان القرنين ٧ ، ٦ . ق . م (٢) .

(د) الفينيقية ، او الكنعانية :

الفينيقيون ، او الكنعانيون ، قبائل سامية ، هاجرت من الجزيرة العربية الى بلاد الشام ، حوالى سنة ٢٥٠٠ ق . م ولغتهم قريبة من اللغة العبرية ، حتى ظنهما بعض العلماء لغة واحدة ، او ان العبرية لهجة كنعانية .

وكان الفينيقيون أصحاب تجارة ، وعمارة ، وحضارة ، وركبوا البحر ، وأسسوا الممالك والمستعمرات ، ووزعوا الأرض ، فازدهرت حضارتهم ، وانتعشت مادياتهم .

وأسسوا مدنا وممالك فى داخل الشام ، فانقض عليها العنصر الآرامى والعبرى ، فقضى عليها . وانشأوا مجموعة على سواحل الشام ، وبعض جزر البحر المتوسط ، بقيت حتى القرن الأول الميلادى .

وغامر فريق منهم بركوب البحر ، فوصلوا الى شمال افريقية ، وأسسوا لهم مستعمرات خارجية ، من اشهرها : مملكة (قرت حدش) وهى (قرطاجنة) اى القرية الحديثة ، بالقرب من تونس الحالية (٣) .

---

(١) المصدر السابق ص ٣٥ . (٢) المصدر نفسه .
(٣) الوجيز ص ٧٩ ، نقلا عن ولفنسون .

وامتد نفوذهم فشمل عددا من جزر البحر الأبيض المتوسط . والساحل الشرقى لبلاد الأندلس ، وجزءا من جنوبى ايطاليا .. فقوى ملكهم ، وتجارتهم ، وملاحتهم ، واهتموا بالعلوم والصناعة .. وظلت دولتهم قوية ، الى ان انقض عليها من الشرق اليونان والآراميون ، فثلوا عرشهم ، وانحسر ملكهم وتقلص على سواحل البحر الأبيض ، ثم ازال الرومان دولتهم بعد حروب طاحنة ، استمرت حوالى ١٢٠ عاما .

ويظن انهم أول من اهتدى للخط الكتابى ولم يهتموا بتدوين حضارتهم على عكس اخوتهم الساميين .

واعظم ما قدموه للعالم ابجديتهم ، التى استفادت البشرية منها ، ويرجع تاريخ أبجديتهم الى القرن ١٤ ق . م (١)

(هـ) العبرية :

اختلف العلماء فى معنى (عبرى) : فمن قائل : هو لقب ابراهيم الخليل عليه السلام ، بعد ان عبر النهر ، او هو اسم احد اجداده ، او بمعنى الرحلة والتنقل وعدم الاستقرار . وكان هذا دابهم حتى استقروا فى فلسطين فى نهاية القرن ١٣ ق . م .

ويراد بالعبريين : الشعوب التى تتصل بأنسابها الى ابراهيم الخليل وهى : بنو يعقوب ، وبنو اسماعيل ، وبنو مدين ، والعمالقة ، واهل ادوم ، واهل موآب وعمون .

وكانت القبائل العبرية تتنقل فى صحراء سيناء وشمال الحجاز . ونظرا لاتصالهم بأمم الصحراء ، فقد أمكن عقد مقارنات بين الأدبين : العربى والعبرى ، ولوحظ بينهما وجوه شبه قوية ، أقوى من أى لغات سامية اخرى .

ويقسم تاريخ العبريين الى طورين : طور ما قبل السبى ، وطور ما بعده ويتناول الطور الأول : عصر القضاة وعصر الملوك . وفى الأول كانوا بداة ، وانتهى هذا العصر فى سنة ١٠٤٠ ق . م . وفى الثانى توحدت القبائل تحت راية ملكهم (شاؤل) ، واشتهر منهم سليمان وابنه عليهما السلام ،

---

(١) المصدر السابق ص ٨١

وينتهى هذا العصر سنة ٥٨٦ ق . م . حين هاجمهم (بختنصر) البابلى ، وخرب فلسطين ، وسبى بنى اسرائيل ، واجلاهم الى بابل . وحاولوا بعد السبى استعادة ملكهم فأخفقوا ، ثم اتجهوا الى تأسيس دولة : (المكابيين) (١٤٠ — ٣٦ ق . م) حين جاء الفتح الرومانى . وبعد ذلك انقرضوا وذابوا فى أمم شتى ، بسبب الحروب والهجرة ، والامتزاج مع الشعوب المجاورة ، ولاسيما الآراميين .

واللغة العبرية — كما أسلفنا — شديدة الشبه بالكنعانية (١) .

وقد مرت اللغة العبرية فى أطوار كثيرة ، بدلت من سماتها وخصائصها :

فقد كانت قبل السبى البابلى سليمة نقية ، لم تؤثر فيها المؤثرات الآرامية ولكنها تأثرت — بعد السبى — بالفارسية والبابلية ، والآرامية ، حتى اتخذوا اللسان الآرامى لسان مخاطبة لهم ، فأثر كل ذلك فى العبرية ، واعتراها الخلط والتشويش . واستعملوا أسماء الشهور البابلية .

وفى القرن الرابع قبل الميلاد اتصلوا باليونان وبفلسفتهم ، ورغبوا فى العلوم أكثر من الآداب ، ولم ينسوا تدوين أسفار العهد القديم ، ومحاولة تنقية لغتهم . لكن المستعملة اليوم على كل حال ، ليست هى العبرية القديمة .

على حين تمتع اليهود فى العصور الاسلامية فى مصر والاندلس بحرية ، لم تكن لهم تحت الحكم المسيحى ، فنما أدبهم وازدهرت لغتهم ثانية تحت الحكم الاسلامى وان بقى تأثرها بما اختلطت به من اللغات (٢) .

وتكتب العبرية بخطين : خط قديم مشتق من الخط الكنعانى فيما قبل السبى . وخط يشبه الخط الآرامى ، وعرف عندهم بالخط المربع ، أو الاشورى وهو المستعمل حتى اليوم .

واخترع اليهود نظام الحركات لضبط لغتهم ومحافظة على النطق ، واستقرت هذه الحركات بعد القرنين الخامس والسادس الميلاديين ، واشتهر منهـا : النظـام العراقي والنظام الطبرى المألوف الى اليوم .

---

(١) فقه اللغة العربية . د . نجا ، ص ٣٧

(٢) تاريخ اللغات السامية ص ٢٦٢

(و) الحبشـــية :

اللغة الحبشية ، هى لغة المنطقة الحبشية فى افريقيا ، واهم لهجاتها الجعزية والأمهرية أو الأمحازية .

وقد هاجرت قبائل يمنية الى الحبشة قديما وعرفوا باسم (الجعزية) أى الأحرار واسست مملكة ، وجعلت عاصمتها : (اقسوم) ، ودام ملكهم حتى ١٢٧٠ م .

ووجد علماء اللغات شبها كبيرا بين آثار لغتهم ، وبين اليمنية القديمة وأقدم آثار جعزية وصلتنا يرجع تاريخها الى سنة ٣٥٠ م ، واهمها النقوش التى عثر عليها فى عاصمتهم (اقسوم) ، ومنسوبة الى ملوكهم ، عزانا وتزانا وآل (عميدا) (١) .

ولم تعمر هـــذه اللهجة طويلا ، اذ تغلب الأمهريون على الجعزيين سنة ١٢٧٠ م ، فأخذ نجمهم فى الافول ، وسطعت شمس الأمهرية .

وتنسب الأمهرية الى منطقة (أمهرا) ـــ وينتســـب أصحابها الى سليمان وملكة سبأ ـــ ، واتسع نطاقها ، واستعملت فى الأدب والدواوين حتى اليوم .

ولاحظ العلماء وجود صبغة حامية قوية فى هذه اللغة . وفى الحبشية لهجات اخرى ، لكنها ليست قوية ، مثل التيجرية ، والتجرائية ، والجوارجية ولهجة مدينة هرر ، ولهجة أهل جافات ، وقبائل ارجوبا .

كما لاحظ العلماء أن اللغة الجعزية حافظت على عناصر سامية قديمة لم يبق لها أثر فى الساميات الأخرى .

(ز) العربيـــة :

تنتمى العربية الى العائلة اللغوية الكبيرة : (السامية) ، وهى .. لغة العرب ، ووعاء الرسالة الخاتمة ، والتى حملت أمانة الحضارة الاسلامية عبر القرون لملايين البشر ، وبها نزل القرآن الكريم بلسان عربى مبين . وتمتد كلغة دين لآلاف الملايين من البشر ، صمدت حين اهتزت لغات ـــ وبقيت ـــ لثرائها ـــ حين بادت السنة ، وكسبت أرضا وناسا حين انحسرت لهجات : وصدق الله حيث يقول :

« انا نحن نزلنا الذكرا وانا له لحافظون » (١) .

---

(١) فقه اللغة العربية . د . نجا ، ص ٣٩

وتتوزع اللغة العربية فى عدد من اللهجات ، بعضها عاش فى جنوب الجزيرة ، وبعضها فى شمالها . وبعضها لم يقو على عاديات الزمن والحتوف السود فبادت واندثرت . وبعضها حمل بين طياته عوامل نمائه فتحدى وبقى وازدهر والفصحى هى التى حظيت بعناية اللغويين قديما وحديثا .

وتقع جغرافيا فى الفرع الجنوبى مع الحبشة ، وعربية الشمال تعرف بالعدنانية ، وتعرف عربية الجنوب بالقحطانية ، أو السبائية ، أو الحميرية ، أو المعينية وكلها لغة اليمن القديمة .

وظهرت العربية فجأة على مسرح الحضارة العالمية لغة نامية متكاملة فى صرفها ونحوها وبيانها وسعة مفرداتها . وهذه هى ما يقصد بها (الفصحى) وتسمى أحيانا بالقرشية ، لغلبة خصائص لهجة قريش عليها ، والا ففيها من اللهجات الاخرى ، الشىء الكثير ، أوصلها بعضهم الى أربعين لهجة . وتسمى احيانا بالحجازية ، وهى التى دون بها الشعر الجاهلى ، ونزل بها القرآن الكريم ، وجاء بها الحديث النبوى الشريف والتى لا تزال الى اليوم لغة العلم والأدب والدين .

ووصلتنا شابة قوية قبل ظهور الاسلام بحوالى مائتى سنة تقريبا .

والسبب فى رقيها وسيادتها : مكانة قريش الدينية ، والسياسية ، والتجارية والتهذيب الدائم للهجتها ، وابعاد كل مستكره أو ثقيل عنها ، وجلب كل خفيف ومستملح من الألفاظ من اللهجات العربية الأخرى اليها . فامتازت بالغزارة والاعراب الكامل ، والايجاز ، والجمال ، ودقة التعبير .

وطفولة العربية لا نعرف عنها شيئا ، يقول الدكتور أنيس :

« حين نفكر فى حال اللغة العربية ، قبل ظهور المسيحية (أى قبل الاسلام بسبعة قرون) نجد أنفسنا فى ظلام دامس ، فليس بين أيدينا نصوص عربية ترجع الى تلك العهود ، فأقدم ما عثر عليه لايكاد يجاوز القرن الثالث الميلادى . وليس معنى هذا أن اللغة العربية ، لم تكن موجودة قبل المسيحية أو أنها احدث من شقيقاتها ، كالعبرية مثلا . بل يؤكد لنا

---

(١) الحجر : ٩

المستشرقون أن اللغة العربية المألوفة لنا قد احتفظت بعناصر قديمة ترجع الى السامية الام ، اكثر مما احتفظت به الساميات الأخرى » (١) .

والسبب فى فقدان النصوص : أمية العرب الاقدمين ، ولذا فان اقدم نصوصها لا تجاوز قرنين من الزمان قبل الاسلام . ولعل دراسة الساميات عموما تزيل هذا الابهام .

ويمكن دراسة العربية جغرافيا فى شمالها وجنوبها ، كما يمكن دراستها تاريخيا الى بائدة وباقية ، فكلها لهجات للغة واحدة ، لقوم من العرب بعضها بائدة ، وبعضها باقية .

فالعرب البـــائدة :

هى التى بادت ، ولا نعرف شيئا من تاريخها على وجه محقق ، سوى ما قصته علينا الكتب السماوية ، وما أنبأت به الآثار والنقوش .

ومن أشهر هذه القبائل

« عاد » وتوطنت الأحقاف ، جنوبى الجزيرة العربية .

و « ثمود » فى الحجر فى شمال شبه الجزيرة .

و « طسم وجديس » وقد اقامتا باليمامة . و « العمالقة » المتفرقون فى الجزيرة بين عمان والحجاز وفلسطين (٢) .

وتتضارب الآراء كثيرا فى أماكن هذه القبائل البائدة .

والعرب الباقية :

هى التى بقى تاريخها وآثارهـــا للآن . وهم طبقتان : قحطـــانية ، وعدنانية .

فالقحطانية تنسب الى قحطان ، وقد ارتحلوا من العراق الى اليمن ، لوفرة خيراتها . وولد لقحطان : يعرب ، وجرهم . وولد ليعرب يشـــجب ، وتفرع منهم بعدئذ : قبائل كهـــلان ، وحمير ، وطىء ، والأزد ، والأوس ، والخزرج ..

واما العدنانية ، او الاسماعيلية ، او المستعربة :

فهم ذرية اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام . وعاش اسماعيل مع

---

(١) فى اللهجات العربية ص ٣٣

(٢) فقه اللغة العربية . د . نجا ، ص ٣٩

أمه بجوار جرهم بمكة سنة ١٧٠٠ ق . م . وقد بعثه الله الى جرهم ، والى العمالقة بجوارهم ، والى اهل اليمن .

وتفرع العدنانيون بعدئذ فروعا كثيرة ، منها : عك ، ومعد ، ونزار ، ومضر ، وربيعة ، وانمار .. وتفرع من مضر (قريش) ذات التاريـــخ المجيـــد (١) .

ويهمنا الآن أن نعرف شيئا عن لهجاتهم .

أولا ــ اللهجات الشمالية ، فكان منها :

١ ــ اللهجة الثمودية :

هى عربية صميمة ، الا فى بعض كلمات ونظم يسيرة تختلف فيها عن لهجة قريش ، كما وجد على قبر نقش يعود تاريخه الى الرابع الميلادى . ونصه : (ذن ــ لقض ــ بنت ــ عبد ــ منت) . اى هذا القبر للقيض بنت عبد مناة (٢) .

ويرى بعض الباحثين : أن النقوش التى تسمى (النقوش العربية) ، والتى سبقت ظهور الاسلام ، هى لغة ركيكة لا تشبه العربية الفصحى . ويذكر أن اشهر واقدم هذه النقوش نقش النمارة ، وهى أنقاض لمخفر رومانى فى جبل الدروز . ونقش (زبد) عثر عليه فى اللجـــا ، قريب من حوران فى دمشق .

فنقش نمارة كتب تخليدا لذكرى ملك اسمه : امروء القيس بن عمرو ، المتوفى عام ٣٢٨ ، وكان ملكا على الحيرة ، وامتد نفوذه الى بادية الشام . ونص النقش : (تى نفش مرفيشا) اى هذا قبرامرىء القيس . ويصـــف الباحث عبارة النقش بأنها سريانية . ثم يقول : ولكن فى النقش عبارة عربية واحدة ، وهى : « فلم يبلغ ملك مبلغه » .

ويتوصل الباحث الى أن النص لرجل آرامى لا يعرف من العربية الكثير(٣) ولكنا نقول : بل هى عربية شابها بعض الفاظ دخيلة .

---

(١) المصدر السابق ص ٤١ (٢) ولفنسون ص ١٧٥
(٣) نظريات فى اللغة ص ٦٦ ، ٦٧

٢ ــ اللهجة اللحيانيــة :

بنو لحيان ، من بطون العرب ، التى سكنت شمال الحجــاز ، قرب هضبات خيبر . وقد عثر المستشرقان (جلازر ، ودوتى) ، على نقــوش لحيانية كثيرة ، وبالرغم من أن النقوش استعصت على الحل زمنا ، الا انها عربية ، لأن فيها حروف (الذال ، والثاء ، والغين ، والضاد) كما فى اللغة العربية ، وكذلك فيها : أفعل التفضــيل وعلامة التنبيــه ، التى هى من خصائص العربية (١) .

٣ ــ اللهجة الصفوية :

ليس هناك من بين العرب من يسمون بالصفويين ، ولكن أطلق بعض المستشرقين هذه التسمية على جملة نقوش عربية عثروا عليها فى الحرة ، بين جبل الدروز ، وتلول أرض الصفاة . وترجع هذه النقوش الى القرون الثلاثة الأولى بعد الميلاد .

ويشوب هذه اللهجة بعض ألفاظ نبطية وآرامية ، غير أنها ــ مــع ذلك ــ عربية خالصة ، وتستعمل ألفاظا عربية ، مثل : أسد ، وليث ، وغزال ، وجمل ، وبكر ، وقنفذ ، وورل ، وضبع ، وبقر ... الخ . وجاء فى نقش صفوى :

(لبرد ــ بن ــ أصلح ــ أبجر ــ وشتى ــ هدر ــ وذبح ــ فهلت ــ سلم) . أى . لبرد بن أصلح بن أبجر ، وشتى (فى هذه الدار) ، وذبح ذبيحة فيا أيتها اللاة سلام .

٤ ــ اللهجة الجاهلية :

وهى تسمية اصطلاحية أيضا ، تطلق على اللهجة التى سبقت ظهور الاسلام بحوالى قرن واحد . وعثر على نقوشــها فى منطقة الصــفاة ، ويتراوح تاريخ هــذه النقوش فى الفترة من سنة ٣٢٨ م حتى ٥٦٨ م (٢) ومنه نقش النمارة السابق .

ومثله نقش (زبد) الذى عثر عليه فى (اللجا) بحوران جنوبى دمشق

---

(١) ولفنسون ص ١٧٢

(٢) الوجيز ص ٩٦

وهو مكتوب باللغتين : اليونانية والعربية . وجاء فى النص العربى : انا شرحبيل بن ظلموا (ظالم) بنيت ذا المرطول (الكنيسة) سنة ٤٦٣ ، بعد مفسد (خراب) خيبر ، وهو نص عربى ، يعرف صاحبه اكثر من لغة ، وقد تشوب هذه النصوص بعض الفاظ من لغات مجاورة ، او لغة حاكم أجنبى ، أو خصم عنيد محارب :

فقد كان للثموديين حروب مع (سركون) ملك آشور ، وهزمهم فيها . وكان الرومان يستأجرون جنودا من الثموديين للحروب . وكان اللحيانيون يسكنون على مشارف الشام والعراق ، ويقعون تحت النفوذ الفارسي او الرومى (١) فلا غرابة فى أن تتخلل بعض الالفاظ والتراكيب ، السمات الاجنبية ، ولا يخرجها ذلك عن عربيتها .

هذا بعض ما كان من أمر اشـــهر اللهجات العربية فى الشمال .

ثانيا ــ اللهجات العربية الجنوبية :

يرجع تاريخ القحطانيين فى الجنوب الى القرن السابع قبل الميـلاد تقريبا وتاريخهم شديد الغموض . ومن هذه القبائل : المعينيين ، والسبأيين ، والقتبانيين والأوسانيين ، والحضرميين ، وغيرها ... والمعينية نسبة الى مملكة معين ، والسبأية كانت فى مملكة سبأ التى عاصمتها مأرب الشهيرة .

وظلت السيادة للسبئيين فى اليمن زمنا طويلا استغرق عهود بابل ، وآشور والفرس واليونان والرومان وكان من ملوكها (كرب) ، الذى سمى الدولة بالحميرية وبقيت الى عهد ذى نواس ، الذى انهزم أمام الحبشـــة سنة ٥٢٥ م ، وظل حكم الحبشة لبلاد اليمن حتى سنة ٧٥٠ م ، حيث حررها الاسلام من الحكم الأجنبى (٢) .

وقد عثر على نقوش كثيرة لهؤلاء الاقوام تبين ملامح لهجاتهم .

وهى لهجات تتشابه ، كأنها لهجة واحدة ، ولا تتعدى الفروق بعض الفاظ فيما بينها . وكلها عربية صحيحة لا تختلف عن الفصحى الا فيمـــا تختلف فيه لهجة قريش عن لهجة تميم .

---

(١) ولفنسون ص ١٧٧

(٢) المختصر فى علم اللغة العربية الجنوبية ، لأغناطيوس هويدى ، نقلا عن الوجيز للأنطاكى ص ٩٨ ، ٩٩ .

واليك طرفا من الخلافات بين المعينية والسبئية ..

فضمير المفرد الغائب فى السبئية ، كما فى الفصحى ، والمعينية تجعله سينا (كتابه = كتابس) والسبئية تعدى فعلها بزيادة الهاء ، والمعينية بالهمز : (هراق = أراق) . والقتبانية والحضرمية تجعل التعدية بزيادة السين ، فبدلا من (هراق) ، تقول : (سراق) (١) .

شبهات حول العربية ، فى صلة العدنانية بالقحطانية :

تلقى القحطانيون العربية من بقايا العرب البائدة ، وعن طريق الجراهمة انتقلت الى العدنانيين . وعملت بعض الفروق اللغوية تغيرا بين اللهجات الشمالية كالثمودية واللحيانية والصفوية ، وبين اللهجات الجنوبية ، كالمعينية والسبئية ، فكان هناك تفارق بين اللهجتين ، كما فى هذا النص : (لستم ويغث بن جشم هوعل) ، اى (الوعل لتيم يغوث بن جشم) . واحيانا يكون التفارق شديدا ، كما فى هذا النص : (ب وهق وصوابت ومحفدت وهجر هموا) اى : « واعلو السور مرة اخرى » .

ودعا ذلك ابو عمرو بن العلاء (١٤٥ هـ) ، أن يقول : « مالسان حمير بلساننا ولا عربيتهم بعربيتنا » . ويتفق ابن جنى (٣٩٥ هـ) مع استاذه الفارسى فى قولهما : « لسنا نشك فى بعد لغة حمير عن لغة بنى نزار » (٢) وهذا وذاك قول مبالغ فيه ، تلقفه المستشرقون ، وحكموا بأن اللهجات الجنوبية لغات سامية مستقلة ، ليس بينها وبين لهجات الشمال شبه . وصدق هذا القول بعض الكتاب والباحثين ، أمثال : الدكتور طه حسين فى الشعر الجاهلى ، حين نفى شعر الشعراء الجاهليين فى الجنوب كامرىء القيس ، كما نفى ذلك : ابوعمرو بن العلاء ، واما الدكتور صبحى الصالح : فيصف الفرق بأنه « عظيم » (٣) ، وهو وصف قريب من وصف ابن جنى واستاذه الفارسى .

والحقيقة ان لهجات الشمال والجنوب عربية صرفة ، وان دخل الجنوبية بعض تأثيرات آرامية كثيرة .

---

(١) المصدر السابق

(٢) فقه اللغة العربية . د . نجا ، ص ٤٥

(٣) الوجيز ص ١٠٣

والسبب الذى وقع فيه القائلون بالنفى أو البعد :

ان النقوش المعثور عليها قليلة العدد والمادة اللغوية .

وكثير من هذه النقوش لم تحل رموزه حتى الآن ، كاللحيانية .

والمعثور عليه محدد المواضيع : فى تمجيد صاحب قبر غالبا — مما يضيق مجال التعبير ، ويفرض تكراره .

كما أن الكتابة لم تكن — يوما ما — تمثيلا أمينا دقيقا لما يلفظ : الا ترى اننا مازلنا نضيف واوا الى (عمرو) ، ونحرم (هذا) من الألف أوتكتب الانجليزية (Light) للضوء ، ولا تنطق (gh).

وعلى ذلك : فقد قرأ المستشرقون العلم العربى (عليو) فى السبئية — (علياو) مع أن قراءته الصحيحة (عليو) فى على ، ولكن اثبات الواو فى (عليو) هو اشارة الى الأصل الاشتقاقى ، كما ننطق نحن (رمى) بالالف ، ونكتبها بالياء اشارة الى اصلها الاشتقاقى ، على حين تكتب (جلا) بالالف ، لأنها واوية .

كما كان الرسم الاملائى يختلف بين الشمال والجنوب : اذ كان التنوين يكتب فى اللهجات الجنوبية ميما ساكنة فى آخر الاسم ، بينما لا يكون الحال هكذا عند الشماليين : فاذا كتب الشماليون : (كتابهم كتاب جميل) ، كتبه الجنوبيون : (كتبهمو كتبم جملم) كما أن عدم وجود رموز للحركات الطويلة — كحروف العلة — وعدم وجود الحركات القصيرة — كالفتحة والضمة والكسرة — فى تلك النقوش زاد من صعوبة قراءتها قراءة صحيحة ، والنطق لها على مثال ما كانوا ينطقون ، وقد طوى الزمن ذلك .

فضلا عن أن ترجمة النقش كانت تتم بلغة المستشرق ، ثم ينتقى أسهل أو اشهر لفظ لتأدية المعنى ، مثل لفظ (مقتوى) الذى ترجم الى لفظ مساعد ، وتداوله الكتاب : فحدث الفرق للترجمة الحرفية بين مساعد وبين معنى اللفظ فى شطر بيت عمرو بن كلثوم : متى كنا لأمك مقتوينا .

ومثل ذلك يقال عن الترجمة من استلهام السياق ، عند ما تغمض بعض المفردات (١) .

---

(١) المصدر السابق ص ١٠٣ — ١١٨ بتصرف .

وساق الأستاذ الانطاكى ادلة اثبات على أن عربية الشمال والجنوب لهجتان للغة واحدة .

منها : اتفاقهما فى عدد الأصوات اللغوية ، والابجدية المكونة من ٢٨ حرفا .

واتفاق فى قواعد الصرف . واتفاق فى معظم المفردات .

ورجال قريش لم يحتاجوا الى مترجمين فى رحلة الشتاء الى عرب الجنوب . كما خاطب النبى وفد اليمن بلهجتهم : « ليس من امبر امصيام فى امسفر » .

كما نفى الاستاذ الانطاكى قول المستشرقين فى ان لهجات الشمال ابتلعت لهجات الجنوب . ومن شاء مزيدا من الفائدة ، فليرجع الى كتابه القيم (١) .

والخلاصة اننا يمكن ان نقول : ان هناك تفارقا بين لهجات الشمال ولهجات الجنوب ، كما هو الشأن فى انشعاب اللغات الى لهجات ، وتأثر اللغات واللهجات بما يجاورها ، وذلك شىء طبيعى فى التأثير والتأثر ، أما التباين المطلق الذى يدعيه بعض الباحثين فشىء لا نقرهم عليه ، لأنه زعم باطل ، وفهم خاطىء .

وبعد تلك الجولة نستعير هذا الرسم لشجرة اللغات السامية ، من كتاب الأستاذ الدكتور صبحى الصالح (٢) ، توضيحا لمكانة اللغة العربية بين شقائقها وفروعها .

---

(١) المصدر السابق ص ١١٩ — ١٢٦ بتصرف .
(٢) دراسات فى فقه اللغة ، د . صبحى الصالح ص ٧١

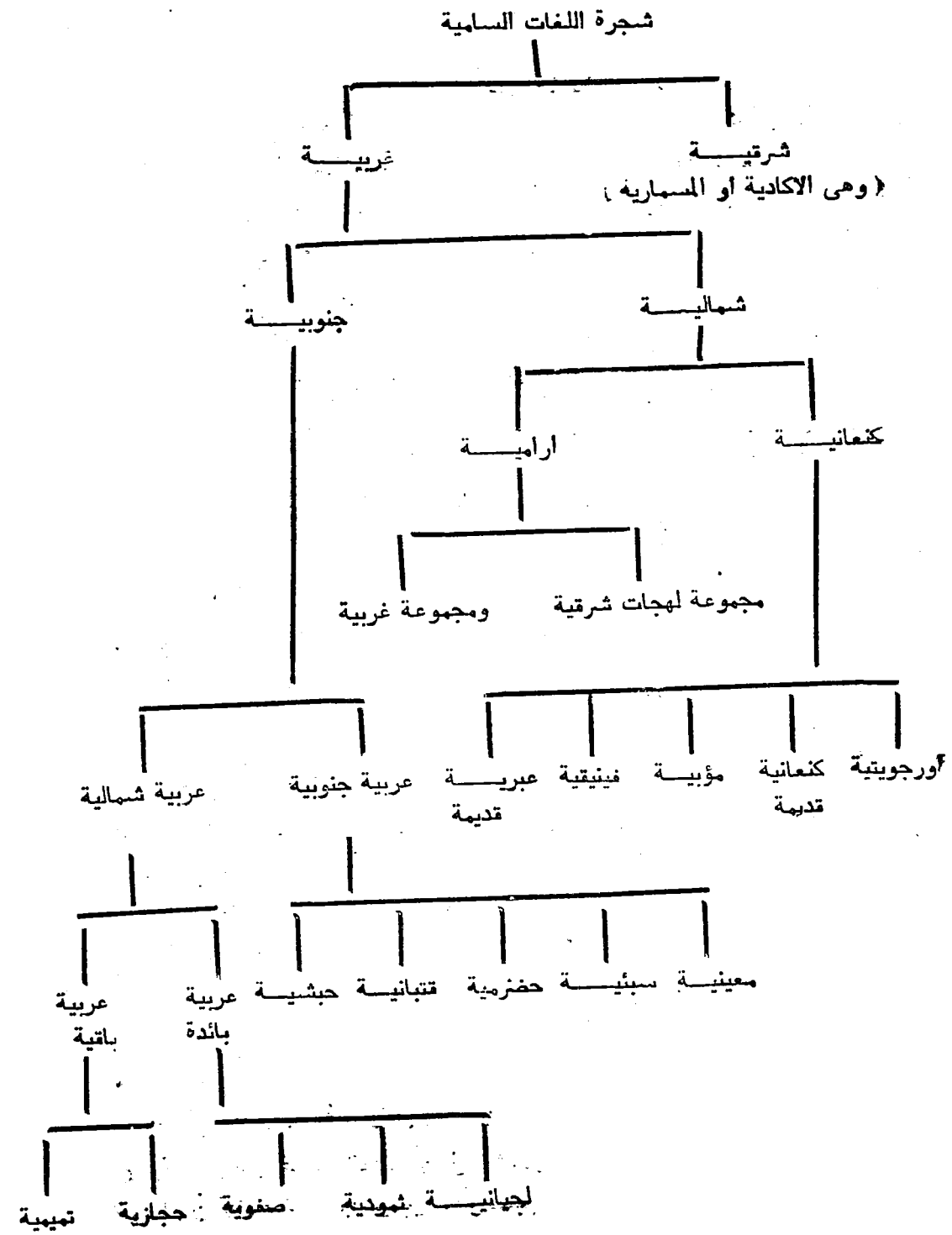
شجرة اللغات السامية
شرقية
(وهى الاكادية او المسماريه)
غربية
شمالية
جنوبية
كنعانية
ارامية
مجموعة لهجات شرقية
ومجموعة غربية
أورجويتية
كنعانية قديمة
مؤبية
فينيقية
عبرية قديمة
عربية جنوبية
عربية شمالية
معينية
سبئية
حضرمية
قتبانية
حبشية
عربية بائدة
عربية باقية
لحيانية
ثمودية
صفوية
حجازية
تميمية

تعقيـــب :

- تشتمل اللغات السامية الحاميـــة أربع مجموعات لغويـــة ، هى : مجموعة اللغات السامية ، واللغة المصرية ، والليبية البربرية ، والكوشية .
- تتفرع اللغات السامية ـــ جغرافيا ـــ الى ثلاثة فروع ، هى : الفـــرع الشرقى ، وتندرج فيه لغات : بابل وآشور ، والتى وصلنا الكثير منها بالخط المسمارى .

والفرع الغربى ، وتندرج فيـــه الآرامية القديمة بفرعيهـــا : الكلدانية والسريانية والكنعانية ، وتشمل : الفينيقية ، والعبرية ، واللغـــة التى اكتشفت فى (أوغاريت) برأس الشحرا .

والفرع الجنوبى ، تندرج فيه : العربية والحبشية . ولغة الأحبـــاش القديمة تعرف (بالجعز Geizz) بكسر الجيم والعين وتشديد الزاى ، أى لغة المهاجرين من اليمن الى افريقيا ، ، أو الأحرار .

- وتغطى مجالا فسيحا ، هو شبه جزيرة ، وشمالها فى الشام ، وجزءا كبيرا من افريقيا .
- تتجانس المجموعة الســـكانية لشعوب المنطقة نســـبيا . وان تفاوتت حضـــــارتهم .
- وانكمشت اللغات الحامية ، وانتشرت مكانها اللغات السامية ، ولعبت دورا حضاريا رئيسيا فى التاريخ .
- الاتفاق فى كثير من العناصر النحوية والصرفية بين السامية والحامية ، جعل بعض العلماء يجعلهما مجموعة واحدة ، لوجود علاقات عضوية بين الشعوب الحامية السامية وبين لغاتها الكثيرة ، كما تثبت ذلك حقائق التاريخ ، والجغرافيا ، وعلم اللغة المقارن .
- مازال فى المجال الجغرافى فى اللغات السامية والحامية ـــ ذات الحضارة العريقة لغات مجهولة ، تنتظر البحث والتنقيب والدراسة .
- اقتحمت العربية مجالا واسعة للغات عديدة من مجموعات لغوية مختلفة كالفارسية والهندية ، والتركية ، والماليزية ، والنيجيرية .
- ولا فرق بين عربية العدنانيين فى الشمال ، وبين عربية الجنـــوب فى اليمن للقحطانيين والمعينيين ، والسبئيين والحميريين .

- لايعرف اللغويون من اللغات واللهجات ـــ الشيء الكثير ـــ الا ما تطور ، وترك خلفه تاريخا عريضا ، ونقوشا مدونة واضحة .
- معرفة جميع لغات العالم كلها عسيرة ، ومتعذرة .
- ليس هناك لغة افضل من اخرى ، لان اللغة ظاهرة انسانية اجتماعية تتطور بتطور الانسان وتنمو بنمو حضارته . و « كل فتاة بأبيها معجبة » كما يقول المثل العربى .
- للغة مجرى ، تنشعب فيه اللغات كلما بعد المجرى : فالأرمنية والايرانية والروسية ، والألمانية واللاتينية ... مجراها واحد ، على ما بينها من تباين واختلاف فى اشياء كثيرة .
ومثل ذلك يقال عن : العربية ، والعبرية والبابلية والآشورية والفينيقية . من السامية .
- لا اعتبار للكتابة وقواعدها فى اللغة ، وانما الاعتبار للفظ وطريقة ادائه ، لأن الكتابة ليست من جوهر اللغة ، وانما هى عرض ورموز للغة التى هى مجموعة اصوات ، واللغة اقدم من الكتابة .
- رسم حدود للغة محددة تحديدا قاطعا ، غير ممكن ، بل هى مشكلة لا تحل حلا مرضيا . لأن انتشار اللغة لايمكن ضبطه للهجرة وغيرها . ولأن التفاهم لا ينقطع فجأة .
- ما يقال : من ان اللغات التى من اسرة واحدة انحدرت عن لسان واحد ، هو اب لها جميعا ، قول افتراضى ، لايمكن اقامة دليل علمى قاطع عليه ، لسكوت ما قبل التاريخ عن بيان ذلك .
وما يقال : من أن الوحدة العنصرية الدموية تجمع بين الشعوب الناطقة بمجموعة لغوية معينة ، لا يسنده الواقع . فان كثرة من شعوب امريكا اللاتينية تنطق الاسبانية وليس بينها وبين الاسبان هذه الروابط .
والشعب الفرنسى ينحدر من قبائل الفرنك وقبائل الكلت . ويسكن أرض الغال التى لم تكن لأسلافه ، ويتكلم بلسان مشتق من اللاتينى ، لاعلاقة له ببلاد الغال ، ولا بقبائل الفرنك .
- محاولة الربط بين اللغة والجنس البشرى ، أو رقى شعب يتكلم لغة معينة كالآرية دليل الحضارة .. قول مردود : فكل شعب قادر على اكتساب لغة اخرى ، واى لغة ، وأن يرقى بأى لغة اذا تهيأت له اسباب الرقى والحضارة .